

الجديد في الدرس النحوي عند الدكتور مصطفى جمال الدين - رحمه الله -

الدكتور

عبد الكاظم محسن الياسري

أستاذ مساعد

في كلية الآداب / جامعة الكوفة

المقدمة

كانت مدينة النجف الاشرف من اكثر مدن العراق اهتماما بالعلم والثقافة لأنها تمثل مدرسة كانت قبلة لطلبة العلم من كل مكان يدخلونها وهم يحملون معهم ثقافات مختلفة ، وفضلا عن ذلك كانت سوقا للكتب الثقافية فلا يكاد يصدر كتاب جديد في عواصم العالم الا وصل اليها وتداولته الايدي في هذا الجو المشبع بالثقافة نشأ السيد مصطفى جمال الدين - رحمه الله - وتلقى علومه ، كان مع مجموعة اكبر منه سنا ، عاش معهم تلميذا في مدرسة الخليلي ثم انتقلت مجموعته الى مدرسة الاخوند ، وكان الشيخ زين الدين يمثل اللولب المحرك في المجموعة وتضم الشيخ الخاقاني وصالح الظالمى والسيد محمد بحر العلوم والسيد حسين بحر العلوم وغيرهم وقد حملت هذه المجموعة ومنهم

السيد جمال الدين لواء التجديد على عاتقها ومن هنا نشأت بذرة التجديد عند السيد جمال الدين فكان داعية للتجديد في مناحي الثقافة المختلفة، كان مجدداً في الشعر والأدب واللغة والنحو والأصول ، وله دعوة صادقة في تجديد مناهج العلوم الدينية في النجف الأشرف وفي ديوانه ما يؤيد ذلك ففي كل مناسبة يدعو إلى التجديد والتطور (١) يقول

هلا تكونون في مصر وأزهرها كما يكون من السلسال منبعه

أم لا فنحن أناس عمرنا سفه إن لم نكن بـ (أتى زيد) نضيعة

وقد وجد السيد من جيله من يلتف حول الصارية وكان للشيخ المجدد محمد رضا المظفر دور كبير في هذا الميدان ومن ثمار ذلك تأسيس كلية الفقه لتكون منبرا ترتفع منه سارية التجديد وقد أدخلت فيها دروس جديدة مثل الفلسفة والعروض والتاريخ والفقه المقارن وأسهم السيد مصطفى جمال الدين بكتاب (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) وقد أشار إلى جهوده في هذا الميدان قال (وأنا الآن إذ استعرض هذه الفترة من جهاد التطوير والبناء اعتبر نفسي قرير العين لأنني كنت بما أثمرته من شعري من دعوات التجديد واحداً من هؤلاء المساهمين في تطوير ما تتطلبه الدراسة الدينية في الجامعة النجفية) (٢) . وللسيد جمال الدين جهود في ميدان الدرس النحوي حاول من خلالها طرح طائفة من الآراء التي تتسم بالجدة مستفيداً من بحثه في النحو عند الأصوليين وسوف نقف في هذا البحث على هذه الآراء .

(١) سيد النخيل المقفى ٦٣ .

(٢) مقدمة ديوانه ١٩ .

التمهيد

في ١٩٢٧/١١/٥ ولد السيد مصطفى جمال الدين في قرية المؤمنين جنوب سوق الشيوخ ، وقد اكتسب هذه القرية تسميتها من عائلة ال جمال الدين لأن افرادها كانوا يرتدون العمامة .

وهو السيد مصطفى بن السيد جعفر بن السيد الميرزا عناية الله بن السيد الميرزا حسين بن السيد الميرزا علي بن السيد محمد جمال الدين . من عائلة حملت مشعل الدين في احوار الجنوب وكان جده الميرزا عناية الله مرجعا دينيا في المنطقة وحكما بين المشائر ومجاهدا ضد الانكليز عاش طفولته في كنف جده عناية الله ودخل الكتاب لتعلم القران ثم سجل في مدرسة ابتدائية في ناحية كرمه بني سعيد (١) . كان يتسم بحدة الذكاء والفطنة وسرعة الحفظ وترك المدرسة وهو في الصف الرابع لينتقل الى مدينة النجف مدينة العلم ليسلك الطريق الذي سلكه اسلافه في دراسة العلم .

في مدينة النجف دخل الحوزة العلمية ودرس قطر الندى والفية ابن مالك على السيد محسن جمال الدين ثم تتلمذ لطائفة من العلماء الاعلام في الحوزة العلمية منهم الشيخ محمد رضا العامري والشيخ عبد الكريم شمس الدين والشيخ علي الصندوق والشيخ محمد امين زين الدين وعنه اخذ اكثر دروسه ، وقد لمع نجمه واصبح علما من اعلام الشعر العراقي . دخل كلية الفقه في عام ١٩٥٨ وكان من المتفوقين فيها وعين عند تخرجه معيدا فيها ، دخل جامعة بغداد للحصول على شهادة الماجستير عام ١٩٦٩ وكتب بحثه الموسوم (القياس حقيقته وحجيته) اشرف عليها السيد محمد تقي الحكيم وحصل عليها عام ١٩٧٢ ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد عن رسالته الموسومة (البحث النحوي عند الاصوليين) باشراف الاستاذ الدكتور مهدي المخزومي

(١) سيد النخيل المقفى ٥٨

استمر في عمله الجامعي حتى غادر العراق مكرها عندما بدأت الحرب مع ايران وظل بعيدا من وطنه الذي نشأ فيه يغنيه اغاني الغربه ويترف شعرا يفيض حنينا متأثرا بكل ما يصيب هذا البلد الجريح حتى وفاته يوم الاربعاء ١٩٩٦/١٠/٢٣ في سوريا . ودفن في دمشق .

جهوده في تجديد النحو

يمكن القول ان هناك تيارين أثرا في الدرس النحوي عند السيد مصطفى جمال الدين وطبعاه بطابعهما التجديدي ، هما دراسته في للنحو الاصولي أو ما يسميه بنحو الدلالة والدكتور مهدي المخزومي الذي كان يحمل لواء تجديد النحو في العراق .

ان السيد مصطفى جمال الدين من اوائل الذين بحثوا في الدرس النحوي عند الاصوليين وكشف من خلال دراسته مظاهر تجديدية في الدرس النحوي قال بها الاصوليون ، وأخذ على علماء النحو انشغالهم بالعوامل والمعمولات واهمالهم دراسة التركيب جاء في مقدمة كتابه ان النحاة شغلوا بشاغل اخر عن البحث في تأليف الجملة

وما يحدث التأليف والربط بين مفرداتها من ادوات وصيغ وتقديم وتأخير(١) . وهذا الشاغل هو البحث عن عمل بعض مفردات الجملة في بعضها وقد سمي هذا بنحو الاعراب وذكر ان الاصوليين وهم يريدون استخراج الأحكام الشرعية من النص درسوا ماتؤديه النصوص القرآنية من معنى واسمى دراستهم بنحو الدلالة وقرر ان بحث الاصوليين في تأليف الجملة هو اقرب الى البحث اللغوي من بحث النحاة الذين شغلوا بالعامل ، ومن بحث البلاغيين في الاسلوب ، ويعد البحث في الدرس النحوي عند الاصوليين كشفا لجانب مهم من

(١) البحث النحوي عند الاصوليين ١٠

جوانب الدراسة النحوية اذ درس هؤلاء المعنى المستفاد من الجملة العربية والتركيب اللغوي للوصول الى استنباط الحكم الشرعي ، ومن هنا بحثوا دلالة الصيغ منفردة او من خلال السياق ، ودرسوا دلالة الافعال على الزمن وكانت لهم اراء في هذه المسائل تلتقي كثيرا مع دراسة المحدثين ولسنا بصدد الدخول في تفاصيل الدرس النحوي عند هؤلاء انما نقف عند طائفة من المسائل التي كانت لاسيد جمال الدين فيها رأي واستنتاج يتسم بالجدة في الدرس النحوي والمسائل التي نقف عندها هي :

١ . رأيه في أصول النحو

أدلة النحو أو أصول النحو عند ابن جني ثلاثة هي (السمع والقياس والاجماع) (١) وعند الانباري (نقل وقياس واستصحاب الحال) (٢). وقد جمع السيوطي الراي الاول والثاني فجعل الأصول أربعة (سمع وقياس واجماع واستصحاب) (٣). والسيد جمال الدين في حديثه عن أصول النحو يقرر ان أصول النحو تماثل ما عناه الأصوليون باصول الفقه، فمصادر النحو وادلتها هي التي بني عليها النحو والقواعد الممهدة لاستنباط الحكم النحوي (٤). ويرى ان أول من تحدث عن أصول النحو هو أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) في الخصائص، وتلاه أبو البركات الانباري والسيوطي، وبين ان هؤلاء قالوا بتأثير أصول النحو باصول الفقه وقد صرح بذلك ابن جني (٥). وعللوا هذا بقولهم (النحو معقول من

(١) الخصائص ١١٤/١-١٣٢

(٢) الاغراب في جمل الاعراب وينظر : لمع الادلة ٨١ .

(٣) ينظر: الاقتراح ٢٨ .

(٤) سيد النخيل المقفى ١٢٦ .

(٥) ينظر: الخصائص ١١٧/١ .

منقول كما ان الفقه معقول ومنقول(١). حاول السيد جمال الدين ان يبين وما مرافق أصول النحو من خلط فوضع تساؤلا معقولا عن وضع هذه الأصول هل هي سابقة لعلم النحو أو لاحقة له؟ ان المعروف عن الأصول أنها مناهج وأصول بحيث تقوم عليها أحكام ذلك العلم ومن اجل ذلك ينبغي ان تكون الأصول في رتبة سابقة أو موازنة لنشوء ذلك العلم، وهذا هو المنطق في طبيعة أي أساس يراد البناء عليه.

غير ان الناظر إلى أصول النحو لا يجدها كذلك فهي متأخرة جدا عن نشأة النحو، فالنحو نشأ في القرن الثاني في حين وضعت الأصول في أواخر القرن الرابع الهجري ومن اجل تفسير ذلك يقول (ومن حيث الأساس هناك تفسيران مقبولان لتدوين أصول أي علم بعد قيامه واكتماله)(٢). التفسيران هما الطريقة التأسيسية النظرية، والطريقة الوصفية التسجيلية.

يمثل للأولى بما قام به الشافعي في تأسيس أصوله وبناء فقه وخالف بذلك أصول المدرستين في الكوفة والمدينة وأبطاله طائفة من الأصول مثل (إجماع أهل المدينة وسنة الصحابة والاستحسان) أما الثانية فمثل لها بتدوين أصول الفقه عند الأحناف وتسمى طريقة الفقهاء. ويصل إلى ان أصول النحو ليست نظرية ولا وصفية مبينا الأسباب التي دعت إلى قول ذلك(٣).

في ثنايا بحثه يقرر أمرين الأول ان أصول النحو لا تتعدى السماع والقياس والثاني ان أصول النحو لم تكن متأثرة بأصول الفقه كما ذهب ابن جني، ومن اجل إثبات ذلك يقارن بين هذين الاصلين عند النحاة والفقهاء مستفيداً من القرآن والسنة بوصفهما مادة الاستنباط.

في النص القرآني يفيد الفقهاء والنحاة وكل منهم يجد ضالته فيه لكن

(١) الاشباه والنظائر ٥/١.

(٢) سيد النخيل المقفى ١٢٧.

(٣) ينظر: سيد النخيل المقفى ١٣٣ فما بعدها.

كلا منهم يختلف عن الآخر في ميدان الإفادة فالنحو يمكن أن يستنبط من كل آية في القرآن لأن طبيعة أحكام النحو تتعلق بلفظ القرآن ونظمه وليس الفقه كذلك لأن أصوله تتخذ من آيات الأحكام فقط فمصدر النحوي غير مصدر الفقيه، وفضلا عن ذلك فإن دلالة النص عند النحوي دلالة قطعية ودلالته عند الفقه دلالة ظنية لأن حكم النحوي لا يختلف في كون الآية نصا أو ظاهرا نص(١). أما القراءات فنادر ما تبحث في مسائل الفقه لكنها مهمة بالنسبة للنحوي ولهم منها مواقف مختلفة بين مؤيد ورافض لاقامة القاعدة على قراءة من القراءات.

أما في السنة فالخلاف كبير بين النحاة والفقهاء، إذ كان الفقهاء يأخذون بالسنة حتى شملت بأفعال الرسول وتقريره في حين اعرض أوائل النحاة عن الاحتجاج بالسنة حتى القرن السابع إذ خرج ابن خروف (٦٠٩هـ) على هذا وتابعه جماعة من النحاة.

أما القياس وهو (حمل غير المنقول على المنقول في الحكم لعللة جامعة)(٢). فقد أشار إلى أنه نشأ عند النحاة والأصوليين في وقت متقارب ويقرر أن كليهما أخذ عن مصدر ثالث هو الحلقات العلمية الموجودة في مساجد البصرة والكوفة إذ كانت متعددة الاتجاهات تعنى بالفقه والنحو وعلم الكلام والقراءات والحديث والتفسير وغيرها وانكر أن يكون النحاة أخذوا قياسهم عن الفقهاء بقول (ولم ادر لم يصر بعضهم على أن النحاة أخذوا القياس عن الفقهاء والقياس في اللغة أكثر طبيعة منه في الشريعة)(٣). ومن ذلك راح يفرق بين القياسين. القياس النحوي لا يقوم إلا على الاستقراء فالنحو (علم استخرجه

(١) ينرظ: سيد النخيل المقفى ١٣٦.

(٢) الاقتراح ٤٧.

(٣) سيد النخيل ١٤٦.

المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب (١). فالقياس النحوي أذن قائم على الاستقراء وحين لا يوجد استقراء لا يوجد قياس في النحو وليس كذلك القياس الفقهي إنما هو عملية اجتهادية من دون الحاجة إلى الاستقراء (٢). أما الإجماع وهو الأصل الثالث عند النحاة بعد السماع والقياس الثاني عند الأصوليين بعد النص انطلاقاً من قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (لا تجتمع أمتي على ضلالة) فقد أنكر كونه من أصول النحو وأشار إلى أنه من الأدلة الضعيفة يقول ابن جني (اعلم أن إجماع البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده إلا يخالف المنصوص) (٣). ولم يذكره الأنباري وتساءل عن المقصود بالإجماع، هل يعني إجماع العرب والمعروف أن كلاماً منهم يتحدث بلهجة أم إجماع العلماء ورجح الثاني لكنه قال (ولكن ما قيمته في الاحتجاج ذلك أن الاحتجاج يكون بكلام العرب وليس كلام النحاة) (٤).

أما الاستصحاب ويقصد به إبقاء ما كان، فقد ذكر أنه لا تنطبق عليه مواصفات الأصل وهو لم يرد عند القدامى، ومثل ذلك قال عن الاستحسان وذكر أنه من أدلة الأحناف وقد أنكره الشافعي وصنف في إبطاله، وذهب إلى أنه أقرب إلى موضوعات فقه اللغة منه إلى الأصول ويقرر في ختام بحثه أن الإجماع والاستصحاب والاستحسان هي أقرب إلى الوهم منها إلى الظن وقد دعا النحاة إلى القول بها تقليد هؤلاء النحاة لمذهبهم الفقهي وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أنه توصل إلى أمور هي:

١. أن النحو له أصلان فقط هما السماع والقياس.
٢. أن أصول النحو لم تكن بتأثير من أصول الفقه كما ذكر ابن جني.

(١) الأصول - ابن السراج ٣٧/١.

(٢) سيد النخيل ١٥٩.

(٣) الخصائص ١٨٩/١.

(٤) سيد النخيل المقفى ١٦٣.

٣. ان الإجماع والاستحسان والاستصحاب ليست من أصول النحو إنما قال بها العلماء تقليدا لمذاهبهم الفقهية وهم يقرون بضعفها.
٤. ان نشأة أصول النحو كانت متأخرة عن نشأة علم النحو.

٢. تقسيم الكلام

لا يكاد يخلو كتاب من كتب النحو من الحديث عن أقسام الكلام عند العرب، ففي كتاب سيبويه نجد الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى (١). وقد أشار ابن مالك إلى هذه الأقسام بقوله (٢).

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

وكان هذا التقسيم الثلاثي سائدا في الدرس النحوي، ووضع العلماء لكل قسم ما يميزه عن غيره من الأقسام واختلفوا في مصدر هذا التقسيم هل اخذه العرب عن غيرهم من الأقوام مثل الرومان والهنود أم هو من ابتكارهم؟ والراجع ان هذا التقسيم نابع من التراث العربي فقد ورد في كتب التراجم ما يشير إلى انه ورد في صحيفة الإمام علي (عليه السلام) التي ألقاها إلى أبي الأسود (٣). وقد وجدت في كتاب معاني القرآن للفراء انه أطلق على أسماء الأفعال مصطلح الخالفة، وقال بعض المحدثين ان هذا يمثل قسما رابعا من أقسام الكلام ونبه إلى ابن صاعد الأندلسي (٤).

وعلى هذا تكون أقسام الكلام أربعة هي (الاسم والفعل والحرف والخالفة) ولا اظن الأمر كذلك لأن الخالفة تمثل مصطلحا مثل غيره من المصطلحات غير ان المحدثين توسعوا فيه فجعلوه قسماً رابعاً. ولم يرتض طائفة

(١) ينظر: كتاب سيبويه ١/١١٢.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ١/٥.

(٣) ينظر نزهة الالباء ٤٥.

(٤) العربية معناها ومبناها ٨٩.

من المحدثين هذا التقسيم ولفت انتباههم كلمات لا يمكن ان ينطبق عليها تعريف العلماء لهذه الأقسام، فقسموها تقسيماً رباعياً بان جعلوا الأسماء المبهمة (الضمائر الموصولات الإشارات) قسماً رابعاً يضاف إلى الأقسام الثلاثة (١). وسموا هذا القسم المبهمات أو الكنايات.

وحاول بعضهم تقسيمها تقسيماً آخر فجعلها سبعة أقسام بإضافة (الصفة والخالفة والظرف) إلى الأقسام السابقة (٢).

ناقش السيد جمال الدين في بحثه تقسيمات القدامى والمحدثين والأسس التي أقاموا عليها هذه التقسيمات، وبين ان هذه التقسيمات لم تقم على أسس صحيحة وقدم نقداً مفصلاً للأساس الذي أقام عليه القدامى تقسيمهم الثلاثي ثم فعل مثل ذلك مع تقسيمات المحدثين سواء أكانت رباعية أم سباعية مبيناً خطأ الأسس التي أقيمت عليها هذه التقسيمات (٣).

بعد ذلك قدم أسساً مقترحة لتقسيم الكلام هو الذي يهمننا في هذا البحث وقد أشار إلى انه افاد من دراسته لنحو الأصوليين في هذا الميدان ورأى ان افضل تقسيم للكلام ان يكون على خمسة أقسام هي (الاسم والفعل والصفة والأداة والكناية).

وهذا التقسيم يقوم على أربعة أسس هي:

١. الدلالة، فاللفظ أما ان يدل على معنى مستقل بالإدراك أو غير مستقل.
٢. الوظيفة، ويقصد بها المعنى النحوي الذي تؤديه الكلمة ضمن الجملة فهي أما ان تكون عنصراً رابطاً أي أداة نسبه أو عنصراً مرتبطاً.
٣. الصيغة، ويقصد بها الصيغ الاشتقاقية المندمجة بمادة الكلمة فهي أما ان

(١) منهم الدكتور إبراهيم انيس في اسرار اللغة والدكتور مهدي المخزومي في كتابه في النحو العربي قواعد وتطبيق.

(٢) منهم الدكتور تمام حسان والدكتور فاضل السامرائي

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: كتاب سيد النخيل المقفى ١٨٩ وما بعدها.

تدل على معنى بسيط مستقل بالإدراك أو على معنى مركب من المستقل أو غير المستقل.

٤. التركيب المراد به ان المعنى المركب من معنى المادة ومعنى الصيغ أما ان يكون تركيبية تحليلية أو اسناديا.

وحاول بعد ذكره هذه الأسس توضيحها من خلال مثال ضربه هو (نجح طلابنا الذين امتحنوا إلا خالدا) ويحلل مكونات هذا المثال (نجح طلاب) - نا الذين - امتحن - واو الجماعة - إلا - خالدا) ويوضح في التحليل ما ذكره في الأسس المتقدمة للتقسيم (١). وبعد التحليل يتوصل إلى النتائج الآتية:

١. الكلمة أما ان تدل على معنى مستقل بالإدراك صالح لان يتحمل الوظائف النحوية عندما يكون مرتبطا بكلمة أخرى، وهذا هو الاسم - ويشمل أسماء الأعيان والأحداث والازمان والمكان والآلة.

٢. أو تدل على معنى غير مستقل بالإدراك وهذا نوعان:

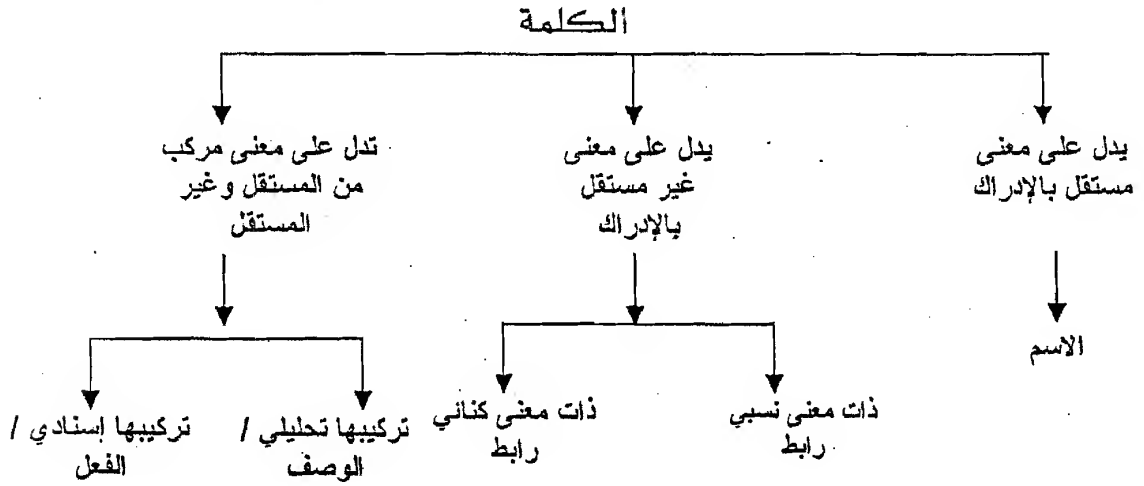
أ- المعنى النسبي الرابط أي تكون وظيفته ربط معاني المفردات بعضها ببعض وهذا يسمى الحرف أو الأداة ويشمل حروف المعاني وحروف المباني المندمجة مع مواد الاشتقاق.

ب- المعنى الكنائي المرتبط وهو ما سميناه الكناية من الكلمات غير المستقلة التي تصلح لأن نكني بها عن اسم أو صفة تشمل الضمائر والموصولات والإشارات وكلمات الشرط والاستفهام وبعض الظروف المبنية مثل (حيث وإذا واين ولما).

٣. أو تدل على معنى مركب من المستقل وغير المستقل (النسبي) وهو نوعان: أ- ما كان تركيبه تحليلياً أي لفظه واحد ولكن معناه ينحل إلى ذات متصفة بالحدث وهذا هو الوصف - اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة.

(١) ينظر: سيد النخيل المقفى ٢٠٢ فما بعدها.

ب- ما كان تركيبه اسناديا أي الكلمة تتضمن حدثا مسندا بواسطة الصيغة إلى ذات خارج لفظ الكلمة ظاهرة أو مستترة وهذا هو الفعل ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي (١).



في ضوء ما تقدم يمكن القول أن السيد مصطفى جمال الدين وضع تقسيما خماسيا مقبولا يقوم على قسمة حاصرة للكلام في اللغة العربية وهذا التقسيم يقوم على أسس واضحة ويختلف عن تقسيم القدامى الثلاثي وتقسيمات المحدثين - الرباعية أو السباعية ويمكن أن نعد هذا التقسيم من الطروحات الجديدة في هذا الميدان تضاف إلى ما تقدم من طروحات سبق ذكرها.

٣. في أصل الاشتقاق

اختلف علماء النحو في أصل المشتقات وكانت لهم في ذلك مذاهب مختلفة البصريون قالوا أن المصدر هو أصل المشتقات والكوفيون قالوا أن الفعل هو الأصل ولكل منهم ما يحتج به لرأيه وذهب آخرون إلى أن كلا من الفعل والمصدر أصل قائم برأسه وقيل غير ذلك (٢). وفي كتابه عن البحث النحوي عند الأصوليين أشار إلى أن الأصوليين لهم رأيان في المسألة هما (٣).

(١) ينظر: سيد النخيل المقفى ٢٠٣.

(٢) ينظر: الأنصاف ١/١.

(٣) البحث النحوي عند الأصوليين ٩٤.

١. ان كلا من المصدر والفعل مشتق من المشتقات وان الأصل هو المادة اللغوية قال بهذا محمد شريف الحائري (١٢٤٥هـ) أستاذ الشيخ الأنصاري ويقصد بالمادة اللغوية الحروف الأصول فالحروف الثلاثة اصل الاشتقاق والمصدر والفعل مشتقان منها.

٢. ان اسم المصدر هو اصل المشتقات لا المصدر ولا الفعل على ان اسم المصدر موضوع من ناحية لفظية بوضع واحد لمادته وصيغته ومن الناحية المعنوية لمعنى واحد هو (الحدث الساذج)(١). وهذان اللفظ والمعنى هما المادة السارية في المشتقات.

وقد تبني السيد مصطفى جمال الدين القول بان المادة اللغوية هي اصل الاشتقاق وكشف ان المحدثين قد اخذوا هذا القول ولم يشيروا إلى مصدره(٢). يقول (وبذلك نعتبر الأصول الثلاثة اصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها وبهذا لا نستطيع ان ننسب إلى هذه الأصول الثلاثة أي معنى معجمي)(٣). ومن هنا يكون قول المحدثين باصالة المادة اللغوية ليس من ابتكارهم إنما سبقهم إلى ذلك الأصوليون في مباحث الالفاظ وقد نبه السيد مصطفى جمال الدين إلى ذلك.

٤. الفرق بين المصدر واسم المصدر

المعروف في الدرس النحوي ان علماء النحو يساوون بين المصدر واسم المصدر في المعنى ويفرقون بينهما في اللفظ يقول ابن مالك (اسم المصدر هو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه في عدد حروفه)(٤). وقد كشف السيد مصطفى جمال الدين ان الأصوليين يختلفون مع النحاة في هذه المسألة

(١) البحث النحوي عند الأصوليين ٩٣.

(٢) ينظر: العربية معناها ومبناها ١٦٨.

(٣) البحث النحوي عند الأصوليين ٩٧.

(٤) التسهيل : ١٤٢.

فهم لا يساوون بين المصدر واسم المصدر فاسم المصدر عندهم هو اللفظ الدال على الحدث سواء أكان جارياً على فعله وهو الغالب (ضَرَبَ) من (ضرب) أم غير جارٍ مثل وضوء من توضحاً (١).

أما في المعنى فهما مختلفان إذ المصدر عندهم هو ما دل على الحدث المنتسب إلى الذات نسبة ناقصة واسم المصدر هو ما دل على حدث غير منتسب ومن هنا نجد فرقاً في المعنى بين المصطلحين عند الأصوليين ويبدو أن القول باسم المصدر هو من أقوال متأخري النحاة أو القدامى فإن كل ما دل على الحدث عندهم هو مصدر سواء أكان جارياً على حروف فعله أم لا (٢).

٥. ضمائر الرفع المتصلة

المعروف في الدرس النحوي أن ضمائر الرفع المتصلة بالأفعال تعرب في محل رفع فاعل، وهذا هو السائد في الدرس النحوي قديماً وحديثاً، وإن ورد ما يخالف ذلك تأويله النحاة أو جعله لغة شاذة وقد يخطأ من يستعملها لغير هذا الغرض في الكتابة، لكن الاستقرار أثبت بما لا يقبل الشك أن طائفة من العرب تستعمل هذه الضمائر لواصقاً للدلالة على نوع الفاعل وعدده وهو ما يسميه النحاة (لغة أكلوني البراغيث) وهي لغة لم يقبلها كثير من النحاة على الرغم من استعمالها في القرآن الكريم وفي كلام العرب مثل قوله تعالى ((واسرؤا النجوى الذين ظلموا)) (٣). وقول الشاعر: (٤).

راين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود التواظر

وقد كشف السيد جمال الدين أن الأصوليين في بحثهم عن دوال النسبة قالوا أن ضمائر الرفع المتصلة بالفعل وغيرها مما يعرف فاعلاً هي حروف

(١) البحث النحوي عند الأصوليين ١٠١.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه ١٦٢/٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٣.

(٤) شرح ابن عقيل ٨٣/١.

لاصقة للدلالة على خصوصية النسبة ونوع الفاعل وعدده وحكمها مثل حكم اللواصق من حروف المضارعة وتاء التانيث فليس هناك فرق بين تاء التانيث ونون النسوة في الدلالة على ان الفاعل مؤنث (١). ويمثل هذا حقيقة لغوية أثبتتها الاستقراء وكان المفترض ان توضع لها قاعدتها الخاصة مثل غيرها من الظواهر اللغوية غير ان النحاة في غمرة بحثهم عن العوامل والمعمولات لم يرتضوا هذا وتأولوا ما ورد من الشواهد على كثرته على طريقتهم الخاصة.

٦. المخالفة

كشف السيد جمال الدين ان الأصوليين في بحثهم النحوي أو من بحث موضوع المخالفة وهو موضوع لم يتحدث عنه النحاة القدامى ولا البلاغيون، ويقصد بمفهوم المخالفة ان الجملة المقيدة، بما لها من أدوات نحوية تدل على معنى يطابق ظاهر النص وسموه المنطوق وهو الحكم بثبوت النسبة عند ثبوت القيد، وتدل على معنى يخالف الأول سموه المفهوم ومثلوا له بالجملة الشرطية (ان جاءك زيد فأكرمه). ظاهر النص يدل على إكرام زيد عند مجيئه، ويدل على انعدام الإكرام في حالة انعدام المجيء وادخلوا في هذا المفهوم جمل الشرط والاستثناء وغيرها (٢). وقد افاد المحدثون من مفهوم المخالفة عند الأصوليين لذي أشار إليه السيد جمال الدين وبنوا عليه ما يسمى بالقيم الخلافية في النحو العربي.

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان جهود السيد جمال الدين كانت متميزة في ميدان الدرس النحوي فقد ثبت من خلال البحث ان له رأياً في أصول النحو ورأياً في تقسيمات الكلام ربما ينفرد بهما عن أقوال غيره من القدامى والمحدثين ويمثلان اجتهادا خاصاً في هذه المسألة فله فيهما حسنة الاجتهاد. وثبت من خلال البحث انه كشف في دراسته لنحو الأصوليين عن مسائل

(١) البحث النحوي عند الأصوليين: ٣٠٦.

(٢) البحث النحوي عند الأصوليين ٣٠٩.

قال بها المحدثون وكل الدارسين يتصورون أنها من ابتكارهم واجتهادهم في حين أنها من جهود الأصوليين مثل القول بأن المادة اللغوية هي اصل الاشتقاق ومنهوم القيم الخلافية في النحو.

وثبت أيضا أنه كشف عن مخالفة الأصوليين للنحاة في التفريق بين المصدر واسم المصدر وفي ضمائر الرفع المتصلة بالأفعال.

وفي ختام هذا الجهد أسأل الله الرحمة للسيد جمال الدين وأسأله التوفيق فيما سعت إليه وأرجو أن أكون وفقت لقول شيء في حق هذا الرجل العالم وكشفت عن طائفة من الآراء التي قال بها أو أشار إليها لتصحيح مسار خاطئ في الدرس النحوي، والله وراء القصد.

ملخص البحث

يتضمن البحث تمهيداً بصفحة واحدة عن السيد جمال الدين رحمه الله، ثم ابدأ الحديث عن جهوده في الدرس النحوي من خلال ما نشره في المجلات وما قدمه في كتابه (البحث النحوي عن الأصوليين)، وقد وقفت في البحث عند ××××× من المسائل كان للسيد جمال الدين فيها رأي يختلف عن غيره من علماء النحو، ومسائل له فيها الفضل في الشريعة إلى أخطاء وقع فيها الدارسون وهذه المسائل هي:

١. رأيه في أصول النحو :

وفي هذه المسألة يطرح رأياً يناقش فيه مقولة العلماء في تأثر أصول النحو بأصول الفقه ويناقش مسألة وضع الأصول في درس النحو وهل هي سابقة أم لاحقة لنشوء الدرس النحوي ويقرر أن النحو له أصلان فقط هما السماع والقياس وما سواهما من استصحاب الحال والاستحسان وغيرها ليست من أصول النحو لأنه تناقض القاعدة.

٢. رأيه في أقسام الكلام :

وفيه يناقش التقسيم الثلاثي والرباعي والسباعي عند القدماء والمحدثين
ثم يضع تقسيماً مقترحاً مخالفاً للتقسيمات المتقدمة هو التقسيم الخماسي في
ضوء خارطة خاصة بتقسيم الكلام.

٣. اصل الاشتقاق :

وهي المسألة الثالثة وفيها يبين السيد ان رأي المحدثين في الاشتقاق ليس
في ابتكارهم وان رفضهم لما قاله الكوفيون والبصريون في هذه المسألة
مأخوذ من الدرس النحوي عند الأصوليين وفي هذا كشف لمسألة كانت شائعة
عند الدارسين المحدثين.

٤. الفرق بين المصدر واسم المصدر :

بين المصدر واسم الدلالة في المعنى في حين يساوي الدرس النحوي بين
المصدر واسم المصدر في المعنى ويفرق بينهما في اللفظ.
٥. ضمائر الرفع المتصلة :

اثبت السيد جمال الدين ان ضمائر الرفع المتصلة بالأفعال والتي كانت
النحاة يعربونها فاعلاً هي ليست كذلك إنما هي لواصق تبين نوعية الإسناد
وعنده - وهذه المسألة هي التي أطلق عليها النحاة لقد أكلوني البراغيث.
٦. المخالفة :

نسبه السيد ان موضوع المخالفة الذي قال به تمام حسان هو من
مصطلحات الأصوليين - وقد استعملوها للتعبير عن جملة الشرط والاستثناء -.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأشباه والنظائر - السيوطي - حيدر اباد ١٣٢٩هـ.

٢. الأصول في النحو - ابن السراج - عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان

٣. الأعراب في جدل الأعراب - أبو البركات الأنباري.
٤. الاقتراح في أصول النحو - السيوطي - حيدر آباد ١٣٥٩ هـ.
٥. الأنصاف في مسائل الخلاف - الأنباري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة.
٦. البحث النحوي عند الأصوليين - السيد مصطفى جمال الدين - وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٠.
٧. التسهيل - ابن مالك، وزارة الثقافة العربية المتحدة ١٩٦٨.
٨. الخصائص - ابن جني، تحقيق: محمد عيل النجار، دار الكتب ١٩٥٢.
٩. سيد التخیل المقفى - المكتبة الأدبية المختصة ١٤١٨.
١٠. شرح ابن عقيل - ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة.
١١. العربية معناها ومبناها، تمام حسان، مطابع الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣.
١٢. كتاب سيبويه.
١٣. نزهة الالباء، كمال الدين الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر.